

حوادث يصعب تعليلها

في الولايات المتحدة الامبركية جمية للباحث النفسية لها لجنة للبحث في هذا الموضوع رئيسها الدكتور ولتر فرنكلين برنس وهو ايضاً من اعضاء اللجنة التي عُيِّنت لامتحان الذين تقدموا لاختذ جائزة السينتك اميركان كاتري في الصفحة ٥١٤ من مقتطف ديسمبر الماضي وقد ذكر رأيه على الصفحة ٥١٥ وخلاصته ان الاعمال التي عملها الوسطاء الذين امتحنوهم لم يثبت منها انها عُملت بقوى غير عادية الا انه كتب مقالة مسهبه في عدد ديسمبر من مجلة السينتك اميركان جعل عنوانها «حوادث لا استطع تعليلها» ذكر فيها اموراً جرت له وتمذر عليه تفسيرها وذلك بعد مقدمة طويلة ابان فيها انه دُفع الى البحث في السبرترزم لتقضى دعاوي اصحابه لا لابائهم فرأى فيها ما اقدمه بصحة بعضها او بانه لا يمكن ردها الى الفس ولا الى علة طبيعية معروفة من ذلك انه سكن في ٢٦ بيتاً مختلفاً الواحد بعد الآخر فلم يسمع فيها شيئاً غير عادي ولما انتقل بزوجه وابنته الى البيت السابع والعشرين جعلوا يسمعون فيه اصوات قرع او تفر نهاراً وليلاً ولم يستطيعوا ان يكتشفوا لها سبباً قال « وكانت هذه الاصوات تسمع نهاراً وليلاً واكثرها ليلاً في الطبقة العليا من البيت وفي السفلى في النور وفي الظلمة سواء كان واحد منا فقط في البيت او اثنان او ثلاثتنا فانا كنا نسمع انقرع احياناً من البيانو و احياناً من مائدة صغيرة قائمة الى جانب سريري قرب رأسي . وكنا نسمعه احياناً في غرف مختلفة في وقت واحد تقريباً . . . وبعد بضعة اسابيع صرت اسمع القرع في مكنتي ويسمعه بعض النقيبين الذين كانوا يزوروني ويحسبون انه صادر من خزانة الكتب . وبعد قليل زال من البيت ومن المكتب ايضاً ثم عاد قليلاً وانقطع بعد ذلك تماماً

وفي الحادي عشر من اغسطس سنة ١٩٢٠ جلست مع السيدة التي اتخذتها سكرتيراً لي وسيدة اخرى ووضعنا ايدينا على مائدة ثقيلة في مكنتي . وهذه اول مرة جلستا فيها حول مائدة لهذا الغرض وكان النور الكهربائي ساطعاً في الغرفة وللحال جعلنا نسمع قرعاً على المائدة وكنت استطع ان ارى ما تحتها ايضاً فلم ارَ ما يستدل منه على ان الصوت نتج من انقباض في عضلات السيدتين . ثم جعل انقرع

بحدث اجابة لطفي ومن المكان الذي اخينه له وانتهى الامر بان ارتفع جانب من المائدة عن الارض ثم هبط وانا ارى ارجل السيدتين ولا ارى فيها حركة . وطلبت منها ان ترفعا جانباً من المائدة بعد ذلك بارجلها فلم تستطعا

ومن الامور التي لا استطع تعليلها استنتاج الوسيطة نتائج مرتبطة بشيء تراه او تلمسه مثال ذلك اني اعطيت وسيطة كتاباً متفلاً لا نستطيع ان نرى كلمة فيه وكنت اعرف كاتبه . فامسكته وتولتها الغيبوبة فوصفت الكاتب بانها رجل يلقي خطباً على التلاميذ وعلى الجمهور و اشارت بيدها مقلدة اشاراته وقالت انه في مدينة كبيرة ووصفتها وصفاً ينطبق على مدينة بوسطن ثم وصفت مدينة اخرى وصفاً ينطبق على نيويورك ثم كنيسة طويلة ضيقة قديمة مبنية بالحجر لها برج فيه ساعة وكوى زجاجها ملون ومقبرة الى عين الكنيسة وحجارة كل القبور التي فيها مستوية ليس فيها شاهد قائم . وكل ما وصفته صحيح وكان الكاتب قساً وهي لا تعرفه ولا سكنت المدينة التي فيها تلك الكنيسة وما من مقبرة خالية من الشواهد القائمة غير تلك المقبرة فكانها رأت بعين نفسها ما في الكتاب وما له علاقة بكتابه

ومن هذه الفرائب صدق الخيالات مثال ذلك ان امرأة في نيويورك خييل اليها ذات يوم انها ترى اباها واخاها معاً وكان ابوها ميتاً واخوها في الحرب فاخبرت بذلك امها واختها وبعد ما رجح اخوها من الحرب اخبرها صادفة فيها من ذلك انه التفت يوماً فرأى تريداً يبدو من سفينة ثم رأى اباها واقفاً الى جانبه . وما خيل اليه وما خيل الى اخته كانا في يوم واحد ويكادان يكونان في ساعة واحدة

ومنها صدق الاحلام او سبق التحذير من ذلك اني حلمت يوماً اني ارى امرأة وفي يدها امر بتلها مكتوب بحبر احمر كالدّم فقالت لي اني لا اخشى الموت ولكن ألا تمسك يدي فقبضت على يدي وحينئذ لطفاً النور وحتمتلك الظلام ثم شعرت ان رأسها فارق بدنها وعلى شعرو دم وفتحت فاهها وافقنته مراراً على يدي دلالة على ان رأسها لم يزل حياً وللحال استيقظت وفصصت الحلم على اثنين وعندى شهادة منهما بذلك وبعد يومين قرأت في الجرائد ان امرأة مخطلة السمور اختفت من بيتها في نيويورك قبلما حلمت بها بضع ساعات . وبعد حلمي بنحو اربع وعشرين ساعة وضعت رقبها على شريط سكة الحديد في مكان يبعد عن بيتها نحو ستة اميال وذلك عند منتصف الليل فقطت القاطرة كما بفأس . واسم هذه المرأة هند (اي يد)

ووجد في جيبها كتاب تقول فيه ان رأسها سيبقى حياً بعد قطعها
وذكر حتماً آخر من هذا القبيل قال في الثامن من يناير سنة ١٩٠٢ كان قطار
واقفاً في سرب نيويورك ومؤخرة بارز من السرب فجاء قطار آخر وصدمة فكسره
وقتل كثيرون من الركاب بين كسره قاتل الناس وقطعوا الكيسر ليخلصوا من
يمكن تخليصه وحينئذ اقلت البخار سخن وزاد في عدد القتلى . وقبل حدوث هذه
الحادثة باربوع ساعات حلت حتماً ينطبق على ما حدث علماً فانسبت الى الدرجة الفهوى
وايقظتني امرأتى حينئذ فاستيقظت وصراخ الجرحى برن في اذني وكذلك صوت
البخار ولا ازال اتذكر ذلك كأنه حدث اليوم . انتهى



كاننا نسمع الثراء يطالبوننا بتمليل ذلك بعد ان عجز عن تمليله رجل خبير
قضى عمره ببحث في هذه المواضيع حتى انتخب رئيساً للجنة البحث في الامور
النفسية واختارته مجلة السيتفك اميركان حكماً في اعمال الوسطاء الذين يدعون
مناجاة الارواح وما يتصل بها . فنجيب ان هنا امرين اساسيين لا يمكن اغفالهما الاول
انه لما امتحن الوسطاء عند السيتفك اميركان في احوال لا يستطيعون الخداع
فيها من غير ان يكشف خداعهم لم يجد هذا الرجل نفسه في كل اعمالهم شيئاً
لا يمكن تمليله . والثاني اننا اذا رأينا عملاً يمكن تمليله بفرض معقول لا تلجأ
الى تمليله بفرض غير معقول ولو لم يبق دليل قاطع على ان الفرض المعقول هو
الفرض الحقيقي

فالحادثة الاولى التي ذكرها اي اصوات القرع او الثقر التي سمعها في البيت
السابع والفسرين من البيوت التي سكنها نائمة من نوع من الدوس بنخر الخشب
ويسمى له مثل هذا الصوت ولاسيما ليلاً وقد وقع لنا شيء من ذلك في بيت كسا
سكنه وبتقطع الصوت احياناً زمناً ثم يعود لان حياة الحشرات ادوار تسكن فيها
او تموت وتخلفها اولادها

والقرع على المائدة امر يصح ان يقال فيه ما قاله البدوي في ناقة

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

وتمليله ان بعض الناس يستطيعون ان يسمعوا صوت القرع بتحريرك مفاصلهم

وتقرأها . وارتفاع وجلي إلثائة يفعله بعض الذين يضمون ايديهم عليها عن قصد او عن غير قصد . وقد حاولوا غير مرة ان يجعلوها ترتفع كذلك ونحن واضعون يدينا عليها فقارمناهم اي ضغطنا نحن ايضاً عليها على جانبنا كما ضغطوا هم على الجانب الآخر فلم ترتفع ولولا ذلك لا ارتفعت

وعمل الوسيطة التي قرأت ما في الكتاب وما يتعلق به وهي لا تعرف كاتبه ولا قرأته إما ان يُعملل بأنها تعرف الغيب وهو تعليل غير معقول او بأن الدكتور برنس من الذين اذا عرفوا شيئاً فقد محفوظ معرفته في عقلم الباطن فلا يشعرون بها فاذا سمعوا شخصاً يشير اليه ولو اشارة طفيفة اتبهوا الى ما في عقلم الباطن واستجولوه فيخيل اليهم ان ذلك الشخص سرده على مسامعهم . وهذا تعليل معقول وقد يكون التعليل الصحيح هنا اي ان كل ما ذكره عن ذلك القس كان مخزوناً في ذاكرته ولكن لم يكن متنبهاً له ولما تكلمت المرأة فرأى في كلامها ما نبه اليه فاذتبه وحسب انه سمعه منها

ورؤية الجندي اياه واقفاً الى جانبه يمكن تعليلها بأنه سمع اخته تقص عليه ما خيل اليها فيخيل اليه حينئذ انه هو ايضاً رأى اياه

ولحلم بالمرأة التي انتحرت امثلة كثيرة لم يقو مثال منها على الثبوت في هذا العصر . فان كثيرين يقولون انهم حللوا بحادثة قبل حدوثها ثم يظهر لدى البحث انها حدثت قبلما حللوا فسمعوا بها وهم غير متبهين بحفظت في ذهنهم الباطن وتذكروها وهم نيام . وذكر انتحار هذه المرأة في يوم كذا ليس دليلاً قاطعاً على ان الانتحار حدث ذلك اليوم . ومن هذا القبيل حللة باصطدام القطار فان تعليله بان الحلم وقع بعد الحادثة اقرب الى المعقول من فرض معرفة الغيب

بقي انا اشرفنا غير مرة الى فرض يمكن ان تعلل به معرفة الغيب اذا ثبتت هذه المعرفة وهو انتفاة الزمن لدى بعض العقول فاذا اتنى كما يقول البعض صارت الحوادث كلها تنبسط امام تلك العقول ماضية وحاضرها ومستقبلها فتراها معاً في وقت واحد . ولكن معرفة الناس للغيب لم تثبت حتى الآن فلا موجب لهذا الفرض وهذا لا يفتي معرفة الجهولات بالاستدلال المتنطقي